كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم اللغة العربية

النقد القديم/المرحلة الثالثة

د. جبار عبد ضاحي

المحاضرة الخامسة

نقد النص الأدبي في العصر الأموي:

Literary text criticism in the Umayyad era

كثيرا ما يتفق الدارسون على ان هذا العصر هو مكمل لعصر صدر الاسلام سواء من الناحية التأريخية او الأدبية واذا كانت دراستنا هذه تعنا بالجانب الادبي فضلا عن النقدي فانه من الصعوبة ان نميز في الادب من عصر الى اخر وذلك لان للدب قيمته الانسانية الحية النامية التي لا تعرف فواصل الزمان وهوية المكان ولكنه نوع من الانسجام والتالف ان صح التعبير مع قدرة الباحث المحدودة من جهة مع التزام الجانب التاريخي المتعارف عليه في دراسة الادب من اجهة اخرى ولا ريب في ان النقد الادبي في هذا العصر قد تتطور عما كان عليه في عصر ما قبلالاسلام وعصر صدر الاسلام في بعض نواحيه فضلا عن التغيير السياسي العام الذي شهده هذا العصر ،فقدر عاد الشعر الى حياته الاولى وازدادت ابوابه اتساعا واغراضه تنوعا وافتنانا وجادت معانيه وتهذبت الفاظه بعامل المنافسة وبتاثير الاسلوب القراني الذي اخذ الشعراء ينظرون فيه ويحاول ان يحتذيه كل مزاول لصناعة الكلام لذلك ارتاينا ان نتابع النقد في هذا العصر اخذين بالحسبات تعدد بيئاته وموضوعاته ومذاهبه الادبية واختلافها وما لذلك من اثر فاعل في المازنة بين الشعراء وفي تقدير منازلهم فهم يوازنون بين شاعرين من مذهب واحد او يجمعهما فن شعري واحد او عدة فنون وكانت الموازنة بين الشعراء على عدة صور: كانت في الاغراض التي طرقوها قلة وكثرة وفي تاتيهم لتلك الاغراض وفي قصيدتين اتحدتا في الموضوع والوزن والروي وفي بيتين قيل في غرض واحد فذلع احدهما وسار وسكن الاخر وخمل في نوعين متميزين من القول كالرجز والقصيد وفي منزلة الشاعرين واين يوضعان اذا كان ذلك كله لم يخرج عن المجالس والاسمار والاسواق الادبية التي شهدها العصر الاموي ولا غرو ان تظم تلك المجالس الصفوة من رجال الادب والذين لهم بصر فيه وراي فيشاركون في الاستماع والموازنة والنقد وقد شهد ذلك النقد بيئات عربية ثلاث(الحجازوالعراق والشام).

حيث ازدهر النقد الادبي فيها ففي الحجاز ازدهرت الحياة بالترف والغناء واللهو وانتشر الادب الرقيق يرافقه النقد في نزعة تجريبية قائمة على ذوق رفضته الحضارة الجديدة وقد برز في تلك البيئة عدد من النقاد الزاهد والفقهاء ابرزهم ابن عباس وابن ابي عتيق وسكينة وعقيلة فضلا عن نقد الخلفاء في مواسم الحج ونقد الشعراء الذي كان محط اهتمامهم شعر الغزل وقد نحى نقدهم اتجاه ذلك فكاد يكون (

النقد الغزلي) في بيئة (الحجاز) وهو السائد. وقد يختلف الشعر في العراق عنه في الحجاز والشام في ذلك العصر بوصف العراق مركزا رئيسيا لمعارضة الامويين في الشام ولم يكن السبب في ذلك وجود الشيعة والخوارج بل كان العراق في تلك الحقبة باكمله غير راض عن الامويين فكان الادب في مجمله معبرا عن سخرية وسخط ظاهرين تجاه الامويين والحق ان النزعة العصبية القديمة ظهرت مرة اخرى في العراق والشام واعانت على احياء روح المفاخرات والمنافرات فكان المربد في البصرة مثل سوق عكاظ في عصر ما قبل الاسلام وكان النقد في اغلبه مفاضلات بين الشعراء واحكاما اشبه بالخطوات السريعة واقوالا تقترب او تكاد من التعليل غير ان ذلك لا يعني انقطاع النقد عن حال سابقه في العصور السالفة فقد كان شديد الصلة بنقد عصر ما قبل الاسلام من حيث الاغراض الشعرية التي كادت ان تكون في اغلبها شبيه باغراض ما قبل الاسلام. وعلى هذا كانت الاحكام الا انها زادت عليها مقاييس جمالية وفنية وفي الوقت الذي كثرت فيه المفاضلة بين الشعراء والموازنة والاحكام التي جرت على السنة النقاد بعد ان اتكت على الذوق والشعور الذين استندا الى حاسة فنية اكتسبها الشاعر او الناقد من كثرة ترداده الشعر وحفظه النصوص وممارسته الطويلة لانشاده مما اكسبه حاسة فنية مكنته من (معرفة جميل الشعر من قبيحه وصحيح وزنه من فاسده) ولا يعني ان النقد لم يكن يخلو من احكام نقدية مع انه ظل في بعض نواحيه امتدادا لدعوة الالتزام وانه كان في بعض نواحيه حريصا على جمال التصوير وانه كان كذلك حريصا على رسم تقاليد الشعراء الاقدمين.وفي الوقت نفسه كثر تعليل الاحكام في عصر بني امية ومرجع هذا التعليل الروح العربية والروح السليمة والتذوق الشعري وقد نشطت الحركة الادبية في العصر الاموي وعلت منزلة الشعر وقائليه فقد كانت مجالس الحلفاء والولاة منتديات ادبية انتشرت فيها القصائد وانشدت فيها الاشعار وتبارت فيها الرواة لذكر النادر والغريب من شعر او حديث او خبر.وكان الخلفاء يجزلون العطاء مشجعين على ذلك فصار للرواة مجالس نقدية لها مكانة مرموقة.

وقد ظهر شعراء فحول من صميم اعراب البادية يتقدمهم الاخطل وجرير الفرزدق من شعراء بادية العراق عن ذي الرمة والراعي والقطامي وغيرهم،وطالما امتازت العراق بباديتها التي لا شك في انها سيطرت على هولاء الشعراء وروحهم ومجتمعهم التي تشبه الى حد كبير عصر ما قبل الاسلام في المفاخرات والمهاجيات والعصبيات مما جعل الشعر في العصر الاموي يقترب من شعر ما قبل الاسلام ان لم يكن تكرارا له فاذا كان سوق عكاظ في عصر ما قبل الاسلام فقد نشأ المربد في البصرة وهذا السوق هو الذي اسهم في ازدهار فن النقائض الذي شاع في هذا العصر وكان الثالوث (جرير والفرزدق والاخطل) هو المؤسس الرئيس له.

ولا ريب من ان تولد النهظة الشعرية الكبيرة في العراق نقدا ادبيا تذوقته طوائف كثيرة متفاوتة في ثقافاتها متباينة في اذواقها واهوائها وميولها وكان للشعراء من هذا النقد نصيب وافر يضاهي نصيب الاسد ، ان لم يكن اكثر، وفي الوقت نفسه اسهم الرواة والنحاة والخلفاء والامراء وغيرهم إسهاما فاعلا في هذا الميدان النقدي.والحق ان تشجيع الخلفاء للشعر والشعراء ومنحهم الجائزة على ذلك أسهم إسهاما كبيرا في وفود الشعراء عليهم ،مما ساعد على تنوع اتجاهات النقد وتعدد صوره المختلفة.